تقريب
حلية طالب العلم

(إعانة المتعلم بتقريب حلية طالب العلم)

تأليف
أبي إسحاق محمود بنْ أحـمد الزويد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تقريب

حلية طالب العلم

(إعانة المتعلم بتقريب حلية طالب العلم)

تأليف

أبي إسحاق محمود بنْ أحمد الزويد

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أنّ مُحَمَّداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠]

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمّدٍ ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار:

فإنَّ من أعظم نعم الله تعالى على العبد أن يوفقه إلى تعلم العلم الشرعي الذي هو من أعظم الطَّاعات، وأجلّ القربات، كما جاء ذلك مصرحاً به في الأحاديث والآيات، والآثار والأخبار؛ "[فـ]الأحاديث في هذا كثيرة، وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد[1]، فيالها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرءُ في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقاً وأوصالاً متفرقة، وصحف حسناته متزايدة يملى فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب تلك والله المكارم والغنائم، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويسبق السابقون إليها، وتوفر عليها الأوقات وتتوجه نحوها الطلبات، فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا

---

[1] –قلت: لعله "مفتاح دار السعادة"، والله أعلم.

خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنه وكرمه وأصحاب هذه المرتبة يُدعون عظماءَ في ملكوت السماءِ"[1]

وقيمة العلم العمل به، وفائدته بنشره وتعليمه للغير، ومن أعظم نعم الله على هذه الأمة أنَّ شريعته جاءت مفصلةً لكل شيءٍ آداباً وأحكاماً، وشرعةً ومنهجاً؛ ومن خير الآداب التي تحلى بها السلف، أدبهم وهم في وقت الطلب حتى بلغ بعنايتهم بالعلم وآداب الطالب أن كتبوا في ذلك الكتب، وألَّفوا فيه المؤلفات!"[2]، ممَّا يدل على اهتمامهم بالعلم، وحرصهم على تطبيقه "قولاً وعملاً"، وبهذا تظهر

---

[1] –طريق الهجرتين"(ص٣٥٣)"، وما بعد

[2] –قال الشيخ بكر رحمه الله في ذكره للكتب المتعلقة بآدب الطلب: "الجامع" للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى، و"الفقيه والمتفقه" له، و"تعليم المتعلم طريق التعليم" للزرنوجي، و"آداب الطلب" للشوكاني، و"أخلاق العلماء" للآجري، و"آداب المتعلمين" لسحنون، و"الرسالة المفصلة لأحكام المتعلمين" للقابسي، و"تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة، و"الحث على طلب العلم" للعسكري، و"فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب، و"جامع بيان العلم لابن عبد البر، و"العلم فضله وطلبه" للأمين الحاج، و"فضل العلم" لمحمد أرسلان، و"مفتاح دار السعادة" لابن القيم، و"شرح الإحياء للزبيدي، و"جواهر العقدين" للسمهودي، و"آداب العلماء والمتعلمين" للحسين بن منصور – منتخب من الذي قبله –، و"قانون التأويل" لابن العربي، و"العزلة" للخطابي، و "من أخلاق العلماء" لمحمد سليمان، و"مناهج العلماء" لفاروق السامرائي، و"التعليم والإرشاد" لبدر الدين الحلبي، و"الذخيرة للقرافي" الجزء الأول، والأول من "المجموع" للنووي، و"تشحذ الهمم إلى العلم" لمحمد بن إبراهيم الشيباني، و"رسائل الإصلاح" لمحمد الخضر حسين، و"آثار محمد البشير الإبراهيمي" وغيرها كثير، أجزل الله الأجر للجميع آمين.

فالعلم النافع : "هو الذي يظهر آثاره على الطالب في تصرفاته وتحركاته، وفي خطابه ومعاملته، وفي كل أحواله، ويورث الخشية والتواضع، والخمول وكراهية الظهور، وخوف الله في السر والعلن، وقول الحق دون محاباةٍ أو تودد" وبهذا يظهر صفاء المعدن، وينكشف المسبوك من المزيف البهرج، ويعرف الطالب المجد وصاحب الهمّة، من الكسول اللا مبالي! ومن هذه الكتب العلمية والرسائل الأدبية التي أُلّفت في هذا الباب، رسالة علميَّة فريدة نافعة، من شيخ عالم جليل، كتبها لطلاب العلم، وقد عايش زماننا، وكان من أعلام قرننا في الحث على هذه الأخلاق الحسنة، والتحذير من مضاداتها من التطاول والتكبر، والتعالم والتعصب، وحب الظهور والبروز، فكانت رسالته نافعة جمعت بين ماضي السلف، وحاضر الوقت، فشرعت بتقريبها لتسهل على الطالب المبتدئ والراسخ المتأصل أولًا، وثانيًا شاء الله أن أدرس هذا التقريب، واعتمد مادةً لتدريس الآداب في المستوى الأول في بعض المعاهد الشرعية، وأرجو الله أن أكون بابَ خير في الدلالة عليه، وفي الحثِّ على اتباع سنّة رسوله ﷺ، فاللهم أكتب لصاحبها، ومختصرها، وقارئها، وناشرها، ومن دلَّ عليها بخيرٍ؛ أعظم الأجر، وأجزل له المثوبة، يا رب العالمين.

"المؤلف في السطور"

هو فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد بن أبو بكر بن عثمان بن يحيى، ويرجع نسبه إلى قبيلة بني زيد.

ولد الشيخ في عام "1365"هـ. وتوفي سنة "1429" هـ الموافق لعام،"2008" إفرنجي، في مدينة الرياض.

أشهر مشايخه:

الشيخ صالح بن عبد الله بن مطلق.

والشيخ ابن باز رحمه الله؛ وقرأ عليه عدداً من الكتب منها: "(فتح الباري)، و"(بلوغ المرام)"

والشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، وقرأ عليه عدداً من مؤلفاته وغير مؤلفاته، منها: "بعضاً من تفسير أضواء البيان، والجزء الأول من، "آداب البحث والمناظرة، ومواضع من المذكرة في أصول الفقه، وغيرها.

واستجاز المدرس بالمسجد الحرام الشيخ: سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، فأجازه إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنَّة.

ودرس في المعهد العالي منتسباً، فنال شهادة "الماجستير" وفي عام"(١٤٠٣)"هجري حصل على شهادة "الدكتوراه"

وتقلد مناصب حكوميَّة عدة؛ "من قضاءً وتدريس في المسجد النبوي، وممثلاً في مجمع الفقه الإسلامي، وغيرها."

من أشهر تلاميذه:

الأستاذ الدكتور، يحيى بن عبد الله الثمالي، والشيخ الدكتور علي العمران، وغيرهم.

من أشهر مؤلفاته:

وله رحمه الله مؤلفات منها: ((فقه النوازل، التعالم، الرد على المخالف من أصول الإسلام، تسمية المولود، أدب الهاتف، الرقابة على التراث، المدخل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل، جزء في زيارة النساء إلى القبور، طبقات النسابين، ابن قيم حياته وآثاره، لا جديد في أحكام الصلاة، بدع القراء القديمة والمعاصرة، خصائص جزيرة العرب، حراسة الفضيلة، هجر المبتدع، درء الفتنة عن أهل السنة، تصنيف الناس بين الحق واليقين، السبحة تاريخها وحكمها، تقريب الألفاظ العلميَّة، وغيرها كثير))

((سبب تأليف الشيخ للحلية))

قال الشيخ رحمه الله: «الحمد لله، وبعد: فأقيد معالم هذه الحلية المباركة عام ١٤٠٨ هـ، والمسلمون -ولله الحمد -يعايشون يقظة علمية تتهلل لها سبحات الوجوه، ولا تزال تنشط متقدمة إلى الترقي والنضوج في أفئدة شباب الأمة، مدها ودمها المجدد لحياتها، إذ نرى الكتائب الشبابية تترى يتقلبون في أعطاف العلم مثقلين بحمله يعلون منه وينهلون، فلديهم من الطموح، والجامعية، والاطلاع المدهش والغوص على مكنونات المسائل، ما يفرح به المسلمون نصراً، فسبحان من يحيي ويميت قلوباً. لكن، لا بد لهذه النواة المباركة من السقي والتعهد في مساراتها كافة، نشراً للضمانات التي تكف عنها العثار والتعصب في مثاني الطلب والعمل من تموجات فكرية، وعقدية، وسلوكية، وطائفية، وحزبية...»

تقريب حلية طالب العلم

١-أهمية الإخلاص[١]

قال الشيخ رحمه الله: أصل الأصول في هذه "الحلية" بل ولكل أمر مطلوب علمك بأنَّ "العلم عبادة"، قال بعض العلماء: «العلم صلاة السر، وعبادة القلب»[٢]

---

[١] -قلت: قال الفضيل بن عياض رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص إذا كان الله، والصواب إذا كان على السنَّة" ينظر: معالم التنزيل للبغوي"(١٢٤/٥)"، ومدارج السالكين "(٨٩/٢)"

وروى البيهقي في السنن الصغير، (١١/١)، والنووي في "التبيان في آداب حملة القرآن"؛ "(ص٣٣)"، "عن سهل التستري رحمه الله تعالى: «نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا، أن تكون حركاته وسكونه في سره وعلانيته، لله وحده لا شريك له، لا يمازجه شيءٌ لا نفسٍ ولا هوىٍ ولا دنيا»

قال ابن الجوزي رحمه الله في "صيد الخاطر"، "(ص٣٢٣)" "وينبغي لطالب العلم أن يصحح قصده، إذ فقدان الإخلاص يمنع قبول الأعمال، وليجتهد في مجالسة العلماء، والنظر في الأقوال المختلفة، وتحصيل الكتب، فلا يخلو كتاب من فائدة! وليجعل همته للحفظ، ولا ينظر، ولا يكتب إلا وقت التعب من الحفظ! وليحذر صحبة السلطان! ولينظر في منهاج الرسول ﷺ والصحابة والتابعين! وليجتهد في رياضة نفسه، والعمل بعلمه! ومن تولاه الحق، وفقه"

[٢] -قلت: ذكرها ابن الجماعة في تذكرة السامع والمتكلم.

فإنْ فقد العلم إخلاص النَّية، انتقل من أفضلِ الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطم العلم مثل الرياء: "رياء شرك"، أو "رياء إخلاص"، ومثل التسميع؛ بأن يقول مسمعاً: علمت وحفظت"[1]

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى[2]:«ويجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه، ويكون قصده وجه الله سبحانه؛ وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض، وطريقاً إلى أخذ الأعواض، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه. وليتقِ المفاخرة والمباهاة به، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس، فإنَّ الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه. وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، فإنَّ رواة العلوم كثير، ورعاتها قليل[3]، وربَّ حاضرٍ كالغائبِ، وعالمٍ كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء، إذ كان في إطراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

---

[1] – الذخيرة للقرافي، "(٤٥/١)"

[2] –الجامع للخطيب"(١٤٢/١،٨٧،٨٥،٨٣،٨١).

[3] قلت: وروى أبو نعيم في "حلية الأولياء"، "(٣٧٧/١٠)" عن أبي بكر بن أبي سعدان قال: "من عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية، ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية، ومن عمل بعلم الرعاية، هدي إلى سبيل الحق"

وينبغي لطالب الحديث أنْ يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أهـ.

٢-"(التحذير من زلة العالم)

وقد قيل: «زلةُ العالِمِ مضروبٌ لها الطبل»[١]

٣-"(من تعلم ابتغاء الدنيا)

عن سفيان رحمه الله تعالى أنَّه قال: «كنت أوتيت فهم القرآن، فلمَّا قبِلت الصَّرة، سلبته»[١]

---

[١] -الصوارم والأسنة" لأبي مدين الشنقيطي السلفي رحمه الله تعالى. وانظر: "شرح الأحياء"، وعنه "كنوز الأجداد"(ص٢٦٣).

ولا يفرح بزلة العلم إلا منافق مريض القلب، أو متعالم جاهل، والعصمة ماتت بموت الصادق ﷺ، ودفنت بدفنه، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، فالعالم واجبٌ عليه أن يحذر من مزالق الزلل وأسبابها، والطالب يحذر منه نشر تلك الزلات والفرح بها.

وقد شبه العلماء "زلة العالم بكسر السفينة؛ لأنَّها إذا غرقت غرق معها خلق كثير" كما في "الموافقات"، (٤/٩٠) و "جامع بيان العلم"، (٢/٩٨٢)

وعن صالح بن سلمان قال: خرجت من البصرة على عهد عبيد الله بن زياد قال: سمعت المشيخة الأولى: "يتعوذون بالله من الفاجرِ العالم بالسنَّة." ذم الكلام للهروي، (٩٤)

وعن عمر بن ذر أنَّه قال لوالده: «يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بنيَّ! ليست النَّائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة»[٢]

قال الشيخ رحمه الله تعالى: "ومتَّع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم والسير لأئمة مضوا، تر فيها بذل النفس في سبيل هذه الحماية-أي نشر العلم-، لا سيَّما من جمع مثلاً في هذا مثل كتاب "من أخلاق العلماء" لمحمد سليمان رحمه الله تعالى[٣]، وكتاب "الإسلام بين العلماء والحكام" لعبد العزيز البدري رحمه الله تعالى، وكتاب "مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" لفاروق السامرائي[٤]

---

[١]-تذكرة السامع والمتكلم"(ص١٩)، قلت: ذكر ابن الجوزي في "صفة الصفوة"، (٨٢/٤)، وابن كثير في "البداية والنهاية"، (٦٢٩/١٣)، عن "يوسف بن زكريا قال: كان مُحَمَّد بن يوسف لا يشتري زاده من خبَّازٍ واحد؛ ولا من بقال واحد؟ وقال: لعلهم يعرفوني فيحابوني فأكون ممن يعيش بدينه"

وفي "أخلاق حملة القرآن" لأبي بكر الآجري، (ص٥٨) بسنده عن خلف بن تميم: مات أبي وعليه دين، فأتيت حمزة الزيات، فسألته أن يكلم صاحب الدين أن يضع عن أبي من دينه شيئًا، فقال لي حمزة رحمه الله: ويحك؛ إنَّه يُقرأ علي القرآن، وأنا أكره أن أشرب من بيت من يقرأ علي القرآن الماء" وانظر: "معرفة القراء الكبار" للذهبي، (١١٦/١)

[٢]-العقد الفريد" لابن عبد ربه، "(١٤٩/٣)"

[٣]-مطبوع مراراً.

[٤]-طبع بجدة عام(١٤٠٧هـ) نشر دار الوفاء بجدة.

وأرجو أن ترى أضعاف ما ذكروه في كتاب "عزة العلماء" يسر الله إتمامه وطبعه.

وقد كان العلماء يلقنون طلابهم حفظ قصيدة الجرجاني على بن عبد العزيز م (سنة ٣٩٢هـ) رحمه الله تعالى كما نجدها عند عدد من مترجميه ومطلعها: «

يقولون لي: فيك انقباض وإنَّما ... ... رأوا رجلاً عن موضع الذل أحجماً

أرى النَّاس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرماً

ولو أنَّ أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظماً»[1]

[1] -وعليك بقصيدة التائية لأبي إسحاق الألبيري، واللامية لابن الوردي المعري، ووصية تقي الدين السبكي لابنه، والمنظومة الميمية في الوصايا والآداب الشرعيَّة للشيخ حافظ الحكمي.

٤-"(الزجر عن علم الكلام وتعلمه) [١]

---

[١] -قال ابن رجب في "بيان فضل علم السلف"، "(ص٨٨)" ط: البشائر "فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدال والخصام والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عياً ولا جهلا ولا قصوراً، وإنما كان ورعا وخشية لله واشتغالًا عمَّا لا ينفع بما ينفع. وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق. والحكم والمواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقيل والقال، فإن اعترف لهم بالفضل، وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريباً، وقد قال إياس بن معاوية: "ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلا وهو أحمق قيل له فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام. وإن ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل فقد ضل ضلالًا مبيناً، وخسر خسراناً عظيماً"

وفي "سير أعلام النبلاء" ترجمة رقم"(٣١٨)" قال أبو إسماعيل: سمعت يحيى بن عمار يقول: العلوم خمسة؛ علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد؛ وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر؛ وعلم هو دواء الدين وهو الفقه؛ وعلم هو داء الدين وهو أخبار ما وقع بين السلف-يعني من الاختلاف-وعلم هو هلاك الدين وهو الكلام"

وروى أبو المظفر المروزي (ت٤٨٩هجري) في "الانتصار لأصحاب الحديث" "(ص٨)"، عن الشافعي قال: "إيَّاكم والنظر في الكلام، فإنَّ رجلاً لو سُئِل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها، أو سئل عن رجل قتل رجلاً فقال: ديته بيضة كان أكثر شيء أن يضحك منه، ولو سئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة"

وفي "شرف أصحاب الحديث" للخطيب البغدادي، "(ت٤٦٣هجري)، "(ص٧٣)"، "أنشد عبدة بن زياد الأصبهاني:

دين النبي مُحَمَّد أخبار... نعم المطية للفتى الآثار

لا تخدعن عن الحديث وأهله... فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما غلط الفتى سبل الهدى... والشمس بازغة لها أنوار"

قال الذهبي رحمه الله تعالى: «وصحَّ عن الدارقطني أنَّه قال: ما شيءٍ أبغض إلي من علم الكلام»[1]

وقال: «إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهاتِ (العقل)، فاعلم أنَّه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد[2]، فاعلم أنَّه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، إن جبنت منه فاهرب، وإلا، فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي، واخنقه» [3]

قال الشيخ بكر رحمه الله: "طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة وعلومها؛ فهما له كالجناحين للطائر، فاحذر أن تكون مهيض الجناح»

---

[1] – "السير"

[2] –يقصد بذلك المتصوفة.

[3] –"السير"(٤ / ٤٧٢)"

٥-"(منهج أهل السنَّة في التعامل مع الفرق المخالفة)[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وأهل السنَّة: نقاوة المسلمين، وهم خير النَّاس للنَّاس»[٢]

قال الشيخ: فالزم السبيل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]

---

[١] -ومن أراد التوسع فلينظر في تراجم الذهبي، فقد أنصف وأجاد وأفاد بما يدل على منهجية أهل السنة في التعامل مع المخالف.

[٢] -منهاج السنة"(٥ / ١٥٨)، طبع جامعة الإمام.

٦-"(أصل العلم وحقيقته)"

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «أصل العلم خشية الله تعالى» فالزم خشية الله في السر والعلن، فإنَّ خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالماً إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله»[(١)]

---

[١] -قلت ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى"، "(٣٣٣/٣) عن أبي حيان التيمي -أحد أتباع التابعين -العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، وعالم بالله وبأمر الله.

فالعالم بالله: الذي يخشى الله.

والعالم بأمر الله: الذي يعرف الحلال والحرام.

وقال رجل للشعبي: أيُّها العالم فقال: إنّما العالم من يخشى الله"

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد كان السَّلف لا يطلقون اسم العالم إلا عَلَى من عنده علم يوجب له الخشية، كما قال بعضهم: إنَّمَا العالم من يخشى الله، ولقي بخشية الله علمًا، وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ . والله تعالى أعلم" مجموع رسائل ابن رجب، "مقدمة تشتمل على أن جميع الرسل كان دينهم الإسلام"، "(٥٦٩/٢-٥٧٠)"، و"(٣٦٥/٤)"، ت: النَّجار.

وفي "إسعاف المبطأ برجال الموطأ" في المقدمة منه، في "رواية مالك عن أيوب رحمهما الله". وفيه يقول مالك: " رأيت أيوب السختياني بمكة حجتين، فما كتبت عنه، ورأيته في الثالثة قاعداً في فناء زمزم، فكان إذا ذكر النبي ﷺ عنده حتى أرحمه، فلمَّا رأيت ذلك كتبت عنه".

٧-"(لزوم التواضع والحذر من الكبر)"

«فإنَّ الكبر والحرص والحسد أول ذنب عُصي لله به»[١]

العلم حرب للفتى المتعالي ... ... كالسيل حرب للمكان العالي.

وعن عبد الله ابن الإمام الحجة الراوية في الكتب السنة بكر بن عبد الله المزني رحمهما الله تعالى، قال: «سمعت إنساناً يحدث عن أبي، أنَّه كان واقفاً بعرفة فرَّق، فقال: لولا أنِّي فيهم، لقلت: قد غفر لهم»

خرجه الذهبي[١]، ثمَّ قال: «قلت: كذلك ينبغي للعبدِ أنْ يزري على نفسه ويهضمها»

١-السير"(٤ / ٨٠).

قلت: وقال ابن القيم في "الفوائد"، "(٥٨)؛ "أصول الخطايا كلها ثلاثة:

الكبر: وهو الذي أصار ابليس إلى ما أصاره.

والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة.

والحسد: وهو الذي جرأ أحدًا بني آدم علي أخيه، فمن وقى شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد"

وقال في زاد المعاد، "(٢/٤٣٤)"، "وليحذر كل الحذر من طغيان " أنا "، " ولي "، " وعندي "، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليس وفرعون، وقارون، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لإبليس، ﴿وَلِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، وَ ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] لقارون. وأحسن ما وضعت " أنا " في قول العبد: أنا العبد المذنب، المخطئ، المستغفر، المعترف ونحوه. " ولي "، في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر"، وانظر بحر الدموع لابن الجوزي، "(ص١٤١)"

٨-"(التحلي بالقناعة والزهد)"

وحقيقة الزهد: "الزهد بالحرام، والابتعاد عن حماه، بالكف عن المشتبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس"

ويؤثر عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «لو أوصى إنسانٌ لأعقل النَّاس، صرف إلى الزهاد»[٢]

وعن مُحَمَّد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى لما قيل له: «ألا تصنَّف كتابا في الزهد؟ قال: قد صنفت كتاباً في البيوع»[٣]

يعني: "الزاهد من يتحرز عن الشبهات، والمكروهات، في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف"[٤]

---

[١] -سير أعلام النبلاء"(٤ / ٥٣٤). وانظر: كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله تعالى "مجموع الفتاوى"(١٤/١٦٠).

[٢] -وهو في سير أعلام النبلاء، (١٠/٩٨).

[٣] -تعليم المتعلم" للزرنوجي (ص٢٨).

[٤] -قلت فلا يصلح الزهد بدون علم، ولا التنسك بدون اتباع؛ لأنه يوقع صاحبه في مخالفات وبدع ما أنزل الله بها من سلطان.

٩-"(تعلم الهدي والأدب، قبل تعلم العلم)"

وعن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»

وعن رجاء بن حيوة رحمه الله تعالى أنَّه قال لرجل: «حدثنا، ولا تحدثنا عن متماوت ولا طعان" رواهما الخطيب في "**الجامع**"[١]

وقال-يعني الخطيب-: "يجب على طالب الحديث أن يتجنب: اللعب، والعبث، والتبذل في المجالس بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر. وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح بيسيره، ونادره وطريفة، والذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصلة وفاحشة وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر، فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة» اهـ.

وقد قيل: «منْ أكثرَ من شيءٍ، عُرِف به»[٢]

وعن الأحنف بن قيس قال: «جنبوا مجالسنا ذكر النَّساء والطعام، إنِّي أبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه»[١]

---

[١] -"الجامع"(١/١٥٦).

[٢] -قلت: رواه الهيثمي في "مجمع الزوائد"، عن أمير المؤمنين عمر ﷺ "(١٨١٧٣)"، وقال فيه، "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه دويد بن مجاشع ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات"

وفي كتاب المحدث الملهم[٢] أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في القضاء: «ومن تزين بما ليس فيه، شانه الله» وانظر: شرحه لابن القيم رحمه الله تعالى"[٣]

---

[١] -سير أعلام النبلاء"(٤/٩٤)"، قلت: وينظر، في كتاب "أسرار الحكماء"، لياقوت المستعصمي، ط: دار البشائر فقد زاد فيه عبارة آخرى.

[٢] -وهذه اللفظة أصلها في "الصحيحين"، رواه البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم، (٢٣٩٨) من حديث عائشة ﷺ، ومعنى الملهم، هو الذي يجري الحق على لسانه بإذن الله، فيأتي بالصواب من غير نبوَّة.

[٣] -"إعلام الموقعين". (٢/١٦١-١٦٢).

١٠-"(التوسط في أمور العيش)

قال الشيخ: لا تسترسل في (التنعم والرفاهية)، فإنَّ "البذاذة[١] من الإيمان"[٢]

وخذ بوصيةِ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في كتابه المشهور، وفيه: «وإيَّاكم والتنعم، وزي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا... »[٣]

وفي المأثورِ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «أحب إلي أنْ أنظر القارئ أبيض الثياب» [٤]

أي: ليعظم في نفوس الناس، فيعظم في نفوسهم ما لديه من الحق.

«والنَّاسُ -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى- كأسرابِ القطا، مجبولون على تشبهِ بعضهم ببعض»[٥]

---

[١] -قلت: البذاذة يعني التقشف.

[٢] -كما صحَّ عن النبي ﷺ، راجع له: "السلسلة الصحيحة"(رقم ٣٤١) و"تعظيم قدر الصلاة"(رقم ٤٨٤) لابن نصر المروزي.

[٣] - "مسند علي بن الجعد"(١ / ٥١٧) (رقم ١٠٣٠)، وعنه "الفروسية" لابن القيم (ص٩)، و"أدب الإملاء والاستملاء"(ص١١٨). وأصله في الصحيحين وغيرهما، قلت: وانظر الفروسية لابن القيم في شرحها، (ص١٢٠-١٢٣) ط: دار الأندلس.

[٤] -الإحكام" للقرافي (ص ٢٧١).

[٥] -"مجموع الفتاوى"(٢٨/١٥٠).

١١-"(موقف طالب العلم في حلّ النّزاعات)"[1]

وذكر صاحب "الوسيط في أدباء شنقيط" وعنه في "معجم المعاجم" "أنَّه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكموا عالماً، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى.

قلت: وممَّا حكاه ابن الجوزي في "صيد الخاطر"، عن بعض الحكماء: "من نظف ثوبه؛ قلَّ همُّه، ومن طاب ريحه، زاد عقله!"

وفي "الآداب الشرعية" لابن مفلح، "(١٢/٢)"، "قال الميموني: ما رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه، وشعر رأسه، وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وأشد بياناً من أحمد بن حنبل"

وفي "تذكرة السامع والمتكلم" "الباب الثالث في آداب المتعلم وفيه ثلاثة فصول، وذكر في الفصل الأول الخصلة التاسعة، وهي "عنايته ببدنه"

وأفرد السمعاني، "(ت٥٦٢هـ)"، باباً فقال فيه: "فصل: في أدب المملي" (ينبغي للمحدث أن يصلح هيئته ويأخذ لرواية الحديث أهبته)

ونحواً منه في "جامع بيان العلم" لابن عبد البر، وكذلك في "الجامع لأخلاق الراوي" للخطيب، وغيرهم.

[1] -قلت: وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إنَّ من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإنَّ من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه" رواه ابن ماجه في "سننه"، "(٢٣٧)" وسنده ضعيف، والطيالسي في "سننه"، "(٢٠٨٢)"، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢٩٧)"، والبيهقي في "الشعب"، "(٦٩٧)"

فقال الشيخ باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه.

فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب.[1]

فقال: بل لم يخل منه كتاب.

فقال القاضي: هذا "القاموس"[2] يعنى أنه يدخل في عموم كتاب - فتناول صاحب الترجمة "القاموس" وأول ما وقع نظره عليه: "والهيشة: الفتنة، وأم حبين[3]، وليس في الهيشات قود"، أي: في القتيل في الفتنة لا يدري قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحرج" أهـ ملخصاً.

---

[1] -كلمة كتاب نكرة تفيد العموم، وهي عامة تشمل جميع أصناف الكتب كالفقه والحديثِ والعقيدة والأصول والأدب وغيرها.

[2] -القاموس معجم لغوي، وليس هو مظان الفقه أو الحديث، وإن وُجِد في بعض كتب اللغة فهذا من قبيل الذكر، لا التفصيل والتبيين.

[3] -أم حبين دويبة من الحشرات تشبه الخنفساء.

١٢-"(التدرج في الطلب) [١]

وينبغي التحلي بالتأمل، فإنَّ من تأمل أدرك، وقيل: "تأمل تدرك»

وقيل: «من لم يتقن الأصول، حرم الوصول»(٢)

وقيل: «من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة»(٣)

وقيل أيضاً: «ازدحام العلم في السمع، مضلة الفهم»(١)

---

[١] -قلت: وفي "الفقيه والمتفقه"، "(٢/٢٠١)"، "يحكى أنَّ أبا حنيفة أتى حماداً فقال له: ما جاء بك؟ قال: أطلب الفقه قال: تعلم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد عليها شيئاً حتى يتفق لك شيء من العلم ففعل، ولزم الحلقة حتى فقه، فكان الناس يشيرون إليه بالأصابع"

قال الخطيب معلقاً: "وينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر، بل يأخذ قليلا قليلاً، حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب من فهمه، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

وقد قيل: " من كان شيخه كتابه، فخطؤه أكثر من صوابه "، وقال بعضهم: " من أعظم البلية: تشييخ الصحيفة"

وقيل:

بقدر الصعود يكون الهبوط. فإيَّاك والرُّتب العالية.

وكن في مكان إذا ما وقعت. تقومُ ورجلُك في عافيه.

[٢] -"تذكرة السامع والمتكلم"(ص١٤٤).

[٣] -"فضل العلم" لأرسلان (ص١٤٤).

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [٢]

وقال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [٣]

قال الشيخ رحمه الله: «لن تكون طالب علم متقناً متفنناً -حتى يلج الجمل في سم الخياط -ما لم تستكمل أدوات ذلك الفن، ففي الفقه بين الفقه وأصوله، وفي الحديث بين علمي الرواية والدراية....وهكذا، وإلا فلا تتعن» [٤]

---

[١] -"شرح الإحياء"(١/٣٣٤).

[٢] -[سورة الإسراء:١٠٦]

[٣] -[سورة الفرقان: ٣٢]

[٤] -قلت: علم أصول الرواية وعلم أصول الفقه لطالب العلم كجناحي طائر لا يطير ويحلق في جو السماء إلا بهما، وفي "تنبيه الهاجد""(١/١٣) لشيخنا أبي إسحاق الحويني حفظه الله كلامًا يقول فيه: "ووالله! لا أشطط إذا قلت: إنني أبصرت بعد العمى لما درست هذين العلمين الجليلين، وأقرر هنا أن الجاهل بهذين العلمين لا يكون عالما مهما حفظ من كتب الفروع، لأن تقرير الحق في موارد النزاع لا يكون الا بهما، فعلم الحديث يصحح لك الدليل، وعلم أصول الفقه يسدد لك الفهم، فهما كجناحي الطائر."

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾[1] فيستفاد منها أنَّ الطالب لا يترك علماً حتى يتقنه"

فأمامك أمورٌ لابدَّ من مراعاتها في كلِّ فنٍ تطلبه:

(١)- حفظ مختصرٍ فيه.

(٢)- ضبطه على شيخٍ متقن.

(٣)- عدم الاشتغال بالمطولات، وتفاريقِ المصنَّفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

(٤)- لا تنتقل من مختصرٍ إلى آخرٍ بلا موجب؛ فهذا من باب الضجر.

(٥)- اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

(٦)- جمع النَّفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه، حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقةٍ.

---

[1] -[سورة البقرة:١٢١]

"(فرع)" "(في أي العلوم يبدأ الطالب مسيرته في الطلب)"

قال الشيخ: «وكان من رأي ابن العربي المالكي[1] ألا يخلط الطالب في التعليم بين علمين، وأنْ يقدم تعليم العربية والشعر والحساب، ثمَّ ينتقل منه إلى القرآن؛ لكن تعقبه بن خلدون بأنَّ العوائد لا تساعد على هذا، وأنَّ المقدم هو دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأنَّ الولد ما دام في الحجر؛ ينقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ؛ صعب جبره.

أمَّا الخلط في التعليم بين علمين فأكثر؛ فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنَّشاط»[2]

---

[1] -"تراجم الرجال "للخضر حسين، (ص١٠٥) و"فتاوى شيخ الإسلام" ابن تيمية (٢٣ / ٥٤ -٥٥) مهم.

قلت: ابن العربي المعرفة هو معروف، وابن عربي النكرة هو نكرة، فميز بين الشخصين فهو مهم.

[2] -قلت: وعلى الطالب أن يقدم العلم الأهم فالأهم، وأهمها كتاب الله، فهو مصدر التشريع، ومنبع الفوائد، وأساس الخير.

فإذا أنجز الطالب حفظ كتاب الله، فعليه أن يفهم معاني القرآن وأن يتدبر آياته وسوره، ففي كل آية منه سر وعلم، قال تعالى، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]

ومِمَّا يقوي ما قلنا، في تعلم القرآن هو حال السلف، وما نقله الشيخ بكر رحمه الله فقد بيَّنه العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرحه على الحليَّة، "(ص٨٧)". بقوله: "وقول ابن

١٣-"(أخلاق طالب العلم)

وقال الحافظ عثمان بن خرزاد (م سنة ٢٨٢هـ) رحمه الله تعالى «**يحتاج صاحب الحديث إلى خمس**، فإن عدمت واحدة؛ فهي نقص، يحتاج إلى: عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه»

العربي في تقديم العربية، قد يكون مُسلَّماً بالنسبة لمن لا ينطق بالعربية، وذلك لأنه لا يمكن أن يعرف القرآن إلا إذا تعلَّم العربيَّة، لكن من كان عربياً فليس من المسلَّم أن نقول: تعلَّم العربيَّة وتوَّسع فيها، وتعلَّم الشعر والحساب، فكيف يقدم الشَّعر والحساب على القرآن؟" أهـ.

وقد روى الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي"، بإسناده عن عبيد القاسم بن سلام، قال: «عجبت لمن ترك الأصول وطلب الفصول»

وأحقها بالتقديم كتاب الجامع والمسند الصحيحان لمحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري. اهـ

والمراد بعد أن يتقن القرآن، ينطلق في تعلم السنَّة النبويَّة الصحيحة على شيخ متقن، وإنْ كان ذا فنٍّ فهو أفضل، وأولى الكتب تعلماً كتب الصحاح، كالبخاري ومسلم.

وفي "جامع بيان العلم" "(٦٦٥)"، عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: «من حفظ القرآن عظمت حرمته، ومن طلب الفقه نبل قدره، ومن عرف الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم»

وهو القائل:

كلُّ العلوم سوى القرآنِ مشغلةٌ إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدينِ

قلت: -أي الذهبي-رحمه الله: "الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون: تقياً، ذكياً، نحوياً، لغوياً، زكياً، حيياً، سلفياً يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مائة مجلد، وألا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنية خالصة، وتواضع، وإلا فلا يتعن»[(١)]

"فإنَّ فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون، فمن تحدث في العلم بغير أمانة، فقد مس العلم بقرحة ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة."[(٢)]

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: «تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم»[(٣)]

وقال وكيع رحمه الله تعالى: «هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق»[(٤)]

---

[١] - "سير أعلام النبلاء"(١٣/٣٨٠)"، قلت: وقال ابن معين رحمه الله: "آلة الحديث: الصدق، والشهرة بطلبه، وترك البدع، واجتناب الكبائر"، الكفاية، "(ص١١٧)"

[٢] -"رسائل الإصلاح"(١/١٣).

[٣] -قلت: وفي "الكفاية"، (ص١١٧)، عن أبي نعيم الفضل بن دكين، قال سفيان الثوري: "من كذب في الحديث افتضح"، قال أبو نعيم: وأنا أقول: "من هم أن يكذب افتضح"

[٤] - "الجامع"(١/٣٠٤، ٢/٧) للخطيب البغدادي.

قال الشيخ رحمه الله؛ ومن علامات العلم النافع:[1]

تساءل مع نفسك عن حظك من علامات العلم النافع، وهي:

(١)- العمل به.

(٢)- كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق.

(٣)- تكاثر تواضعك كلما ازددت علماً.

(٤)- الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا.

(٥)- هجر دعوى العلم.

---

[1] -قلت: والأصل بعبارة العلم النافع، قوله ﷺ، "اللهمّ أنفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال" والحديث رواه الترمذي، برقم(٣٥٩٩) وقال: حسن غريب من هذا الوجه، والبغوي في شرح السنَّة، "(١٥١/٣)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، "(١٨٤/١٠)، من رواية إسماعيل بن عياش عند المدنيين، وهي ضعيفة، وصححه الشيخ من رواية أنس في الصحيحة برقم، "(٣١٥١) ولفظه:"(اللهم انفعني بما علَّمتني، وعلّمني ما ينفعُني، وارزقني علماً تنفعني به)

وقد استوعب ابن رجب شيئاً من مرويات العلم النافع من نصوص الأحاديث والآثار، فليرجع لها في كتابه: "بيان فضل علم السلف على الخلف"، ومثله ابن عبد البر في "جامعه"، وكذلك الآجري سابقاً لهما في كتابه القيم "أخلاق العلماء"

(٦)- إساءة الظنَّ بالنَّفسِ، وإحسانه بالنَّاس تنزها عن الوقوع بهم[١]

وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:«

لَا تَعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ .. ... لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ»[٢]

---

[١]-انظر ما سهل الله لي كتابته "وجوب الكف عن أعراض الناس وترك تتبيع عوراتهم."

[٢]-قلت ذكره أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء"، "(٨/٢٦٦)"، من كلام، "مَخْلَدِ بْنِ الْحُسَيْنِ"

ومن أمثلة العلم النافع، أنَّ بكر بن عبد الله المزني رأى حمالاً عليه حمله، وهو يقول: الحمد الله، أستغفر الله.

قال: فأنتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أما تُحسن غير هذا؟

قال: بلى! أحسن خيراً كثيراً، أقرأ كتاب الله؛ غير أنَّ العبد بين نعمة، وذنب فأحمد الله على نعمه السابغة، وأستغفره لذنوبي.

فقلت الحمال أفقه من بكر"، راجع: عدة الصابرين، "(ص١٤٧)"، ط: دار البصيرة.

١٤-"(ضرورة التعلم والسماع من أهل العلم)"

وقد قيل: «من دخل في العلم وحده؛ خرج وحده»[١]

أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ؛ خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذاً لتعلمها من معلمها الحاذق.

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم؛ إلا من شذ مثل: علي بن رضوان المصري الطبيب (م سنة ٤٥٣هـ)، وقد رد عليه علماء عصره ومن بعدهم.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمته له:[٢] «ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتاباً في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين، وهذا غلط» أهـ.

---

[١] – "الجواهر والدرر" للسخاوي (٥٨/١)، قلت: وفي "تذكرة السامع"، (٥٨)، عن الشافعيّ رحمه الله، قوله: "من تفقه من بطون الكتب، ضيَّع الأحكام"

[٢] –"سير أعلام النبلاء"(١٠٥/١٨). وانظر: "شرح الإحياء"(٦٦/١)، و"بغية الوعاة" (٢٨٦/١، ١٣١)، و"شذرات الذهب (١١/٥)، و"الغنية" للقاضي عياض (ص١٦-١٧)

وقد بسط الصفدي في "الوافي" الرد عليه، وعند الزبيدي في "شرح الإحياء" عن عدد من العلماء معللين له بعدة علل؛ منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه.[1]

كان أبو حيان مُحَمَّد يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥ هـ) إذا ذكر عنده ابن مالك، يقول: «أين شيوخه؟»[2]

وكان أبو حيان كثيراً ما ينشد:«

يَظُنُّ الْغَمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي .. ... أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ

وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا .. ... غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ

إِذَا رُمْت الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ .. ... ضَلَلْت عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

وَتَلْتَبِسُ الْعُلُومُ عَلَيْك حَتَّى .. ... تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ **تُوَمَا الْحَكِيمِ**»[3]

---

[1] – "شرح الإحياء"(٦٦/١).

[2] –مقدمة التحقيق لكتاب "الغنية" للقاضي عياض (ص١٦ –١٧).

[3] –قلت: ذكر ابن مفلح في "الآداب الشرعية"، "(١٢٥/٢–١٢٦)"

وملخص قصة توما أنَّه طبيبٌ وكان علمه من الكتب، فكان فساده أكثر من صلاحه، وضرره أعظم من نفعه، حتى مات بعضهم بسبب تطببه!

وقال الوليد: [1] كان الأوزاعي يقول: «كان هذا العلم كريماً يتلاقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله»[2] وروي مثلها ابن المبارك عن الأوزاعي.

[1] – "السير"(٧ / ١١٤)"

[2] –قلت: رواه الدارمي في "مقدمة سننه"، "(٤٨٣)"، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم"، "(٣٧١)"، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"، "(١٨٨/٣٥)"

وفي مقدمة صحيح مسلم، (١٢/١) عن ابن عباس قال: "إنما كنا نحفظ الحديث والحديث يحفظ عن رسول الله ﷺ فأمَّا إذ ركبتم كل صعب وذلول فهيهات."

وفي الكفاية في علم الرواية للخطيب، (ص٨٧) قال ابن جابر: «لا يؤخذ العلم إلا ممن شهد له بالطلب» : قال أبو زرعة: فسمعت أبا مسهر يقول: «إلا جليس العالم فإن ذلك طلبه» قال الخطيب: أراد أبو مسهر بهذا القول أن من عرفت مجالسته للعلماء وأخذه عنهم، أغنى ظهور ذلك من أمره أن يسأل عن حاله، والله أعلم

١٥-"(طالب العلم وشيخه)"[١]

قال الشيخ بكر رحمه الله: «وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية: "يا فلان" أو: "يا والدي فلان" فلا يجمل بك مع شيخك.[٢]

---

[١] -حذر الماوردي رحمه الله طالب العلم من التعالي على الشيخ والاستغناء عنه، في كتاب القيم "أدب الدين والدنيا"، (ص٦٩) فقال: "ولا يظهر له الاستكفاء منه والاستغناء عنه، فإنَّ في ذلك كفرًا لنعمته، واستخفافًا بحقه؛ وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه لجودة ذكائه وحدة خاطره، فقصد من يعلمه بالإعنات له والاعتراض عليه إزراء به وتبكيتًا له، فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لأبي البطحاء:

أعلمه الرماية كل يوم.. ... فلما اشتد ساعده رماني.

وهذه من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم أنْ يصيروا عند من يعلموه مستجهلين، وعند من قدموه مسترذلين" أهـ.

وكان من دعاء هرم بن حيان: "اللهم إني أعوذ بك من شر زمان يتمرد فيه صغيرهم، ويأمل فيه كبيرهم، وتقترب فيه آجالهم" "المجالسة وجواهر العلم"، "(٢/٢١٥)"

وذكر عن الذهبي رحمه الله، في "السير" "(١١/٣٢١)" فقال: "الجاهلُ لا يعرف رُتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره"

[٢] -قلت: وفي "محاضرات الأدباء"، (١/٦٦)، "قيل للإسكندر: إنَّك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك! فقال: لأنَّ أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي سبب الحياة الباقية."
وفي "الوافي بالوفيات"، (٤/١١٧)

أقدم أستاذي على وَالِدي وَإِن .. ... تضَاعف لي من وَالِدي الْبر واللطف

وتسمية بعض العلماء له "الأبوة الدينية" أليق، وتركه أنسب»[(١)]

وأعيذك بالله من صنيع الأعاجم، والطرقية، والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع، من لحس الأيدي"[(٢)]، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام، كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدي، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد.

فَهَذَا مربي النَّفس وَالنَّفس جوهرٌ .. ... وَذَاكَ مربي الجِسْم وَهُوَ لَهَا صدف.

١-قلت: أصل هذا مستنبط من "تعليم المتعلم"،"(ص٧٩)"، وفيه يقول: "فإن من علمك حرفا واحدا مما تحتاج إليه في الدين فهو أبوك في الدين"، والله أعلم.

٢-قلت: وفي "غذاء الألباب" للسفاريني رحمه الله، "قال: ورخص فيه أكثر العلماء كأحمد وغيره على وجه التدين، وكرهه آخرون كمالك.

وقال سليمان بن حرب: هي السجدة الصغرى.

قال ابن عبد البر: يقال تقبيل اليد إحدى السجدتين.

قال سليمان بن حرب: وأما ابتداء الإنسان بمد يده للناس ليقبلوها، وقصده لذلك فهذا ينهى عنه بلا نزاع كائنا من كان بخلاف ما إذا كان المقبل هو المبتدئ بذلك)" انتهى

والقول بالجواز إن بشرطٍ وقيد فهو محتمل وذاك.

١-بألا تكون لظالم أو مبتدع. ٢-وألا تكون لشهوة في نفس العالم.

وانظر ما يقوله العلامة السلفي الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي الجزائري (م سنة ١٣٨٠ هـ) رحمه الله تعالى في "البصائر"؛ فإنَّه فائق السياق"[١]

رأس مالك -أيها الطالب -من شيخك: القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أمَّا التلقي والتلقين فهو ربح زائد؛ لكن لا يأخذك الاندفاع في محبة شيخك فتقعُ في الشناعةِ مِنْ حيث لا تدري وكل من ينظر إليك يدري، فلا تقلده بصوتٍ ونغمةٍ، ولا مشيةٍ وحركةٍ وهيئة، فإنَّه إنَّما صار شيخاً جليلاً بتلك، فلا تسقط أنت بالتبعية له في هذه.

وأمَّا الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة: وهي تختلف من شيخ إلى آخر، فافهم"[٢]

ولهذا أدبٌ وشرط:

أمَّا الأدب: فينبغي لك أن تعلم شيخك أنَّك ستكتب، أو كتبت ما سمعته مذاكرة.

وأمَّا الشرط: فتشير إلى أنَّك كتبته من سماعه من درسه.

---

[١] -"آثاره"(٤ / ٤٠ -٤٢).

[٢] -قلت: منع جماعة من المحدثين أن يكتب عنهم في المذاكرة، مثل: "عبد الرحمن بن المهدي، وعبد الله بن المبارك، وإبراهيم النخعي، وأبو زرعة وغيرهم. رحمهم الله"

١٦-"(حكم تلقي العلم عن المبتدع) [١]

وأهل البدع يقال لهم: "أهل الشبهات"[٢]، و "أهل الأهواء"، ولذا كان ابن المبارك رحمه الله تعالى يسمى المبتدعة: "الأصاغر"[٣].

عن مالك رحمه الله تعالى قال: «لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به»[٤]

---

[١] -قلت: وللمصنف رحمه الله تعالى، رسالة بعنوان: "هجر المبتدع"، وهي من الرسائل النفيسة، ولي بحول الله تعالى، رسالة بعنوان، "الإعانة بذكر هجر المبتدع من كتاب الإبانة لابن بطة العكبري رحمه الله"، يسر الله تمامها.
وروى الخطيب في الكفاية، "(ص٤٣)"، "إنما يحدث عن رسول الله ﷺ الثقات"
وفيه، "(ص١١١)"، عن ابن عباس رضي الله عنهما، "لا تأخذوا العلم إلا عمَّن تجوز شهادته"

[٢] - "الجامع"(١/١٣٧).

[٣] -في "الزهد"(٦١) له، وانظر: "السلسلة الصحيحة (رقم ٦٩٥).

[٤] -كما في "السير"(٨ / ٦١)
قلت" وذكر ابن رجب رحمه الله، كما في "شرحه على علل الترمذي" (١/١٣٥) عن عبد الرحمن المهدي رحمه الله قال: "ثلاثة لا يؤخذ عنهم-يعني العلم المتهم بالكذب، وصاحب البدعة يدعو إلى بدعته، والرجل الغالب عليه الوهم والغلط"

وكان من السلف من لا يصلى على جنازة مبتدع، فينصرف وقد شوهد من العلامة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩ هـ) رحمه الله تعالى، انصرافه عن الصلاة على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بدعهم، لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة.

-وكان سهل بن عبد الله التستري، لا يرى إباحة الأكل من الميتة للمبتدع عند الاضطرار؟ لأنَّه باغٍ لقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ. . .﴾ الآية، فهو باغٍ ببدعته.[١]

-وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك رحمه الله تعالى مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: "أظنك صاحب بدعة"، وأمر به، فأخرج.

-ومن النُّتف الطريفةِ أنَّ أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ، فقيل له: لم تحدث عن مرجئ؟ فقال: «أبيعكم اللحم بالعظام»[٢]

فالمقرئ رحمه الله تعالى حدث بلا غرر ولا جهالة إذ بين فقال: "وكان مرجئاً".

---

[١] -"الفتاوى"(٢١٨/٢٨)، انظرها، فهو مهم.

[٢] -الخطيب في "جامعة"(٢٢٤/١).

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في "العقيدة السلفية"[1] لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (م سنة ٤٤٩ هـ)، قال رحمه الله تعالى: "ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله عز وجل قوله: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره»[2]

وعن سليمان بن يسار أنَّ رجلاً يقال له: صبيغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عرجوناً من تلك العراجين، فضربه حتى دمى رأسه، ثمَّ تركه حتى برأ ثمَّ عاد ثمَّ تركه حتى برأ، فدعي به ليعود، فقال: إنْ كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً

---

[1] -المطبوعة باسم "عقيدة السلف وأصحاب الحديث"

[2] -"(ص١٠٠)"

جميلاً فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري باليمن: لا يجالسه أحد من المسلمين" رواه الدارمي.[(١)]

وقيل: كان متهماً برأي الخوارج.

والنووي رحمه الله تعالى قال في كتاب "الأذكار": "باب: التبري من أهل البدع والمعاصي".

وذكر حديث أبي موسى رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة» متفق عليه.

وعن ابن عمر "براءته من القدرية" رواه مسلم"[(٢)] [(٣)]

---

[١] -قلت: رواه الدارمي في "مقدمة سننه"، "(١٤٦)"، وانظر: البدع والنهي عنها، لابن وضاح القرطبي، رقم"(١٤٨)"، وابن بطة في الإبانة، "(١/٢٧٠)"، وذكره ابن حجر في "الإصابة"، "(٣/٤٥٨)"، ومعمر بن راشد في "جامعه"، "(٢٠٩٠٧)" ونصه، "عن معمر، قال: خرجت الحرورية، فقيل لصبيغ: إنَّه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا، قال: هيهات قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح، قال: «وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على رجليه»، أو قال: على عقبيه)

[٢] -وانظر أبحاثا مهمة في: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية "رحمه الله تعالى (٢/١٣٢، ٥/١٤، ١١٩/٤٥٩-٣٦، ٤٦٠/١١٨).

[٣] -قلت: وفي الانتصار لأصحاب الحديث، "(ص١٩)"، قال ابن عباس رضي الله عنهما عن القدرية، "لو رأيت بعضهم لضربت عنقه"

والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح وتكثيرها([1])، ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية من عدمها، كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع.[2]

والمبتدعة إنَّما يكثرون ويظهرون، إذا قل العلم، وفشا الجهل. وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال»[3]

وعن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر قال: "يستتاب القدري فإن تاب وإلا نفي من بلاد المسلمين"

وقال عمر بن عبد العزيز: ينبغي أن نتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر، فإن كفوا وإلا استلت ألسنتهم من أقفيتهم استلال"

[1]-انظر: كتاب "قواعد معرفة أهل البدع" وكتابي "قواعد في علامات أهل البدع والتعامل معهم"

[2]-منها في: "مجموع الفتاوى"(٢٨/٢١٦،٢١٣-٢١٨).

[3]-قلت: قال مالك رحمه الله، كما في "درء تعارض العقل والنقل"، (١/٢٧١) "إذا قل العلمُ ظهر الجفاء، وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء"

١٧-"(طالب العلم والعزلة)

«العزلة من غير عين العلم: زلة، ومن غير زاي الزهد: علة»[١]

---

[١] - "العزلة" للخطابي.

-قلت: وأمَّا العزلة عن الناس، فلها مضار ومفاسد، وفوائد وعوائد؛ وقد ألف فيها مؤلفات وأفردت بها رسائل وأجزاء، وممّن ألف فيها ابن أبي الدنيا، والخطابي، وابن البنأ الحنبلي، والوزير اليماني، وحكاها الغزالي في "الإحياء" وابن الجوزي في مختصره عنه، وعنه ابن قدامة في "مختصر منهاج القاصدين"، والقاسمي في "موعظة المؤمنين"، ولمح لها ابن القيم في "مدارج السالكين" وغير هؤلاء كثير، فتلك مضانها فارجع لها، واحذر تلبيس إبليس فيها كما حكاه ابن الجوزي في "تلبيس إبليس" على الصوفية؛ ومثله شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى"، وكتابه "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"

وقد استحب جماعة من السلف العزلة، كسعد بن أبي وقاص، ومالك والثوري، وابن الأدهم، والمرعشي، والحافي، واستحب جماعة المخالطة، كابن المسيب والشافعي وأحمد وابن المبارك وابن عيينة، والشعبي وغيرهم

وفي "ذيل الطبقات"، (١/٣٥٣-٣٥٤) سئل أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رحمه الله، "ما تقولون في عُزلة الجاهل؟ فقال خَبَال ووبال، تضره ولا تنفعه، فقيل له فعزلة العالم؟ قال: مالك ولها، معها حِذاوها وسِقاؤها ترِد الماء وترعى الشجر إلى أن يلقها ربُّها"

١٨-"(علو الهمة) [١]

قال الشيخ: "فيا طالب العلم ارسم لنفسك كبر الهمة، ولا تنفلت منه وقد أومأ الشرع إليها في فقهيات تلابس حياتك، لتكون دائماً على يقظة من اغتنامها، ومنها: إباحة التيمم للمكلف عند فقد

---

[١] -قلت ومن صور علو الهمَّة في ذلك ما ذكره الغزالي في نصيحته "أيها الولد"، "وقد كان السلف يغتنمون اللحظات، فكان كَهْمَسُ بن الحسن التميمي؛ يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانت رابعةُ لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعَتْ هجعةً خفيفة وقامت فزِعَةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل"

ومن الهمم التي تذكر ما قاله الحافظ العراقي-رحمه الله-: "روينا عن مؤمل أنه قال: حدثني شيخ بهذا الحديث -يعني حديث فضائل القرآن سورة سورة -فقلت للشيخ: من حدثك؟ فقال حدثني رجل بالمدائن وهو حي، فصرت إليه، فقلت: من حدثك؟

فقال: حدثني شيخ بواسط، وهو حي؛ فصرت إليه.

فقال: حدثني شيخ بالبصرة، فصرت إليه.

فقال: حدثني شيخ بعبادان، فصرت إليه، فأخذ بيدي، فأدخلني بيتا، فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ، فقال: هذا الشيخ حدثني، فقلت يا شيخ من حدثك؟ فقال لم يحدثني أحد، ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن"

الماء، وعدم إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء، لما في ذلك من المنة التي تنال من الهمة منالاً، وعلى هذا فقس والله أعلم"[1]

إذا علمت الكلمة المنسوبة إلى الخليفةِ الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قيمة كل امرئ ما يحسنه» [2]

وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، فاحذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر وصوابه: كم ترك الأول للآخر!

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من "تاريخ بغداد" للخطيب ذكر من قصيدة له: «

لا يكون السري مثل الدني ... ... لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

قيمة المرء كلما أحسن المر ... ... ء قضاء من الإمام علي»

---

[1] -السعادة العظمى لمحمد الخضر حسين (ص٧٦-٧٨).

[2] -مقالة علي رضي الله عنه ذكرها الخطيب في "تاريخ بغداد"، "(٢٦٥٤)"، في ترجمة أبي عيسى اللخمي الأنباري.

قلت: ذكر ابن القيم في "المدارج"، "(٢/٢١٥)"ط: التوفيقية، "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول في بعض الآثار الإلهية يقول الله تعالى إني لا أنظر إلى كلام الحكيم وإنما أنظر إلى همته

قال: والعامة تقول قيمة كل امرىء ما يحسن، والخاصة تقول قيمة كل امرىء ما يطلب يريد أن قيمة المرء همته ومطلبه"

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كثيراً ما يقول في دعائه إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله تعالى: «اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني فيجد الفتح في ذلك»[1]

وهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قرأ "صحيح البخاري" في عشرة مجالس، كل مجلس عشر ساعات و"صحيح مسلم"

في أربعة مجالس في نحو يومين وشيء من بكرة النهار إلى الظهر، وانتهى ذلك في يوم عرفة، وكان يوم الجمعة سنة (٨١٣) هـ

وقرأ "سنن ابن ماجة" في أربعة مجالس، ومعجم الطبراني الصغير" في مجلس واحد، بين صلاتي الظهر والعصر."[2]

وشيخه الفيروز آبادي قرأ في دمشق "صحيح مسلم" على شيخه ابن جهبل قراءة ضبط في ثلاثة أيام.

وللخطيب البغدادي، والمؤتمن الساجي، وابن الأبار وغيرهم في ذلك عجائب وغرائب يطول ذكرها..

---

[1] –فتاوى ابن تيمية"(٣٨/٤)، وعنه ابن القيم في "إعلام الموقعين"، وهذا دعاء نافع لصدق النية، وألفاظ التضرع والعبودية لله تعالى.

[2] –قلت ينظر: في "ترجمته"، في "اليواقيت والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" للسخاوي.

١٩-"(أهمية الرحلة)"

«من لم يكن رُحْلة لن يكون رُحَلَه» [١]

واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين، الذين يفضلون "علم الخرق" على "علم الورق"

وقد قيل لبعضهم: «ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟!»

وقال آخر:

«إذا خاطبوني بعلم الورق ... ... برزت عليهم بعلم الخرق» [٢]

---

[١] -تذكرة السامع والمتكلم، قلت: فعلى الطالب أن يرحل ويسمع ويكتب عن الشيوخ، حتى يرحل إليه ويكتب عنه، فمن لم يرحل ويسمع من الشيوخ كان مجهولًا وفي عدالته مخدوشًا.

[٢] -قلت: قال ابن الجوزي في "صيد الخاطر"، "وقد دنت حيلة إبليس إلى جماعة من المتصوفة، حتى منعوا من حمل المحابر تلامذتهم، وحتى قال جعفر الخلدي لو تركني الصوفية، جئتكم بإسناد الدنيا، كتبت مجلسًا عن عباس الدوري، فلقيني بعض الصوفية، فقال: دع علم الورق، وعليك بعلم الخرق. ورئيت محبرة مع بعض الصفوية، فقال له صوفي آخر: استر عورتك! وقد أنشدوا للشبلي.

إذا طالبوني بعلم الوَرَقْ... بَرَزْتُ عليْهم بِعِلْمِ الخِرَقْ

وهذا من خفي حيل إبليس، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠]

وذكر النووي في "المجموع شرح المهذب"، "(١٩/١)" عن بعضهم.

٣٠-"(تقييد العلم بالكتابة)"[١]

عاب التفقهُ قوم لا عقول لهم　　وما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة　　ألا يرى ضوؤها من ليس ذا بصر

[١] -واعلم أنّه لا يحصل لك شيء من العلم مالم تحرص عليه ولو بأقل الإمكانات أنك تجعل من حرصك عليه كحرصك على الطعام في جوعك، والشَّرابِ في عطشك والدواء في مرضك.

والحرص من المسلمات التي كانت عند السلف، أمَّا اليوم في زماننا زمان التعالم والتعالي والزهد في الطلب صار الواحد يترك كثيراً من المجالس والحِلقِ العلميَّة النافعة بدواعٍ تافهةٍ ساقطة فنعوذ بالله من شر الخذلان وعواقب الحرمان.

ومن أعظم آفات الطلاب في هذا الزمان "اللا مبالاة" وعدم الكتابة والمشاركة والمتابعة في مجالس العلم وحلق الطلب.

وقد ألف الخطيب رحمه الله كتاباً في ذاك وسماه "اقتضاء العلم العمل" كناية على أنَّ من أهم الأمور المعينة على حفظ العلم، العمل به، ومن لم يعمل به، فقد بيَّن الله حاله فهو كالكلب إن تحمل عليه يلهث، أو كالحمار يحمل أسفاراً، فنعوذ بالله من الخذلان، ونسأله حسن الخاتمة إنه جواد كريم منان.

وعن أبي صالح الفراء، قال: سألت ابن المبارك عن كتاب الحديث، فقال: «لولا الكتاب ما حفظنا»

قال أبو المليح الرقي: "يعيبون علينا أن نكتب العلم وندونه، وقد قال الله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾

قال الشعبي: «إذا سمعت شيئاً، فاكتبه ولو في الحائط» [١]

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إنْ عاهد عليها، أمسكها، وإن أطلقها، ذهبت" رواه الشيخان، ومالك في "الموطأ"[٢]

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه، ذهب عنه أي من كان، لأن علمهم كان ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إن لم يتعاهد، فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟![٣] **وخير العلوم ما ضبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى، ودل على ما يرضاه**»[٤] أهـ.

وذكر ابن عبد البر في "جامع بيان العلم"، "(٦٣٢)" سئل بعض الحكماء: "ما السبب الذي ينال به العلم؟ قال: بالحرص عليه يتبع، وبالحث له يستمع، وبالفراغ له يجتمع"

[١] –رواه خيثمة.

[٢] –قلت: رواه البخاري في "باب استذكار القرآن وتعاهده"، "(٤٧٤٣)"، ومسلم في "باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها "، "(٧٨٩)"، ومالك في " باب ما جاء في القرآن "، "(٢٠٢/١)"

[٣] –التمهيد"(١٣٣/١٤–١٣٤).

[٤] –قلت: فتأمل قوله: "خير العلوم.." فهي في قمة الروعة والمنفعة.

وقال بعضهم: «كلُّ عزٍ لم يؤكد بعلمٍ، فإلى ذلٍ مصيره»[1]

---

[1] -شرح الإحياء (١/٩٣).

وفي "جامع بيان العلم"، (٢٣٥) (١/٢١٨) ينسب إلى علي بن أبي طالب ﷺ.

النَّاسُ فِي جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ... أَبُوهُمُ آدَمٌ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ... وَأَعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيهِمْ وَأَعْضَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ أَصْلِهِمْ حَسَبٌ... يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ... عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ... وَلِلرِّجَالِ عَلَى الْأَفْعَالِ أَسْمَاءُ

وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

٢١-"(طالب العلم والفتوى)" [١]

جُنَّة العالم (لا أدري)، ويهتك حجابه الاستنكاف منها وقوله: يقال...

وعليه فإنَّ نصف العلم (لا أدري)، فنصف الجهل (يقال) و (أظن)"(٢)

---

[١] -والكتب المؤلفة في الفتيا من بين ما هو مطبوع ومخطوط، ومكتوب ومنظوم، وجزء وكتاب، وغيرها تزيد على "(٤٠)" مؤلف.

[٢] -التعالم، "(ص٣٦)

قلت " عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ أراه قال: في المسجد فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا"

وروي عن البراء ﷺ أنَّه قال: "لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى" رواه أبو خيثمة في كتابه "العلم"، "(٢١)"، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم"، "(٢٢٠١)"

٢٢-"(حال طالب العلم في وقت الراحة)"

وفي المأثور عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنَّه قال: «أجموا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنَّها تمل كما تمل الأبدان»[(١)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حكمةِ النَّهي عن التطوع في مطلق الأوقات: «بل في النهي عنه بعض الأوقات مصالح أخر، من إجمام النفوس بعض الأوقات من ثقل العبادة، كما يجم بالنوم وغيره، ولهذا قال معاذ: إنِّي لأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي ...»[(٢)]

وقال: «بل قد قيل: إنَّ من جملة حكمة النهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات: إجمام النفوس في وقت النهي لتنشط للصلاة، فإنَّها تنبسط إلى ما كانت ممنوعة منه، وتنشط للصلاة بعد الراحة، والله أعلم.»[(٣)]

---

[١] -جامع بيان العلم وفضله".

[٢] -مجموع الفتاوى (١٨٧/٢٣)، قلت: وأثر معاذ ﷺ في "صحيح البخاري"، (٤٠٨٦).

[٣] -مجموع الفتاوى"(٢١٧/٢٣).

٣٣-"أدب السؤال، ومراتب العلم"

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

«وقيل: إذا جلست إلى عالم، فسل تفقها لا تعنتاً»[١]

وقال أيضاً: «وللعلم ست مراتب:

أولها: حسن السؤال.

الثانية: حسن الإنصات والاستماع.

الثالثة: حسن الفهم.

الرابعة: الحفظ»[١]

---

[١] -قلت هو مفتاح دار السعادة "(١٦٨/١)"، وفي "ربيع الأبرار" للزمخشري، من كلام علي ﷺ "(٣٩/٤)"

قلت: قال ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى في المجلد الأول، "باب ترك السؤال عما لا يغني والبحث والتنقير عما لا يضر جهله والتحذير من قوم يتعمقون في المسائل ويتعمدون إدخال الشكوك على المسلمين" "اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواما من السنة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير، وكثرة السؤال عما لا يغني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب صحبته.

٢٤-"زكاة العلم"[٢]

قال الشيخ رحمه الله: «أدِ (زكاة العلم): صادعاً بالحق، أمَّاراً بالمعروف، نهاء عن المنكر موازنا بين المصالح والمضار، ناشراً للعلم[٣]، وحب النفع وبذل الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم وغيره.[٤]

قال بعض أهل العلم: «هذه الثلاث لا تجتمع إلا للعالم الباذل لعلمه فبذله صدقه ينتفع بها، والمتلقي لها ابن للعالم في تعلمه عليه»[٥]

فاحرص على هذه الحلية فهي رأس ثمرة علمك.

---

[١] –خامسها التعليم، سادسها وهي الثمرة العمل به ومراعاة حدوده.

[٢] –قلت: وقد قيل "زكاة العلم تبليغه، ونصابه ولو آية"

[٣] –وفي مثل هذا يصدق قول أبي إسحاق الألبيري رحمه الله في تائيته:

يزيد بكثرة الإنفاق منه... وينقص أن به كفا شددتا

[٤] –وهو في "صحيحه"،" باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته "، "(١٦٣١)"

[٥] – "تذكرة السامع والمتكلم".

٢٤-"كيفية التعامل مع الكتاب"

قال الشيخ رحمه الله: «لا تستفد من كتاب حتى تعرف اصطلاح مؤلفه فيه، وكثيراً ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمته.

ومنه: إذا حُزت كتاباً؛ فلا تدخله في مكتبتك إلا بعد أن تمر عليه جرداً، أو قراءة لمقدمته، وفهرسه، ومواضع منه، أما إن جعلته مع فنه في المكتبة، فربَّما مرَّ زمانٌ وفات العمر دون النَّظرِ فيه، وهذا مجربٌ والله الموفق»[1]

---

[1] -قلت: وإذا أراد الطالب شراء كتاب فعليه:

١-أن ينظر إلى المؤلف وعقيدته، ومنهجه في الكتاب؛ فإن جهل ذالك فعليه أن يسأل صاحب خبرة عنه، "فهذا العلم الدين"، و "القلوب ضعيفة والفتن خطافة "كما قيل، فلا يأخذه إلا من أهله الثقات العدول.

٢-قراءة الفهرس، وفهم المقدمة، ففيها يعرض لك السبب الباعث للمؤلفِ على التأليف، فتعرف من خلالها مضمون الكتاب العام.

٣-التأكد من نوعية الطباعة ودور الطبع، هل هي طبعةٌ تجارية، أم علميَّة.

وكذلك النظر إلى أسلوب المحقق، ومنهجه إن كان الكتاب قد كتب وعليه تحقيق، فقد يختلف سعر الكتاب من مكتبة إلى آخرى ومن تحقيق إلى آخر أضعفًا مضاعفة، فمثلاً قد تجد كتاب ثمنه، $8، بينما تجده لنفس المؤلف لكن لاختلاف الطباعة، والتحقيق، تجده بـ"$30"، والفرق الكبير ربما أرهق الطالب؛ لكن في الغالب أفضل وأنفع له، والله أعلم.

٢٥-"احذر من المحاذير الشرعية التي يقع بها بعض طلاب العلم"

حلم اليقظة: إيَّاك (وحلم اليقظة)، ومنه بأنْ تدعي العلم لما لم تعلم، أو إتقان ما لم تتقن، فإن فعلت فهو حجاب كثيف عن العلم.

١-احذر أن تكون "أبا شبر"[١]

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول، تكبر ومن دخل في الشبر الثاني، تواضع ومن دخل في الشبر الثالث، علم أنَّه ما يعلم.

٤-ألا يكون الغاية تكثير الكتب، دون النظر والأهميَّة إلى مادتها العلميَّة وهذا يقع فيه بعض الطلبة، وهو آفة لدى بعض الطلبة، وتكلم السلف في التحذير منه، ونقوله هنا لا يسع المقام، والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

[١] -"تذكرة السامع والمتكلم"(ص٦٥)، قلت: وحال الطالب في بداية الطلب وقبل الشروع في التعلم في الغالب كحال أبي شبر، فإن صدق الطالب، وتابع العلم انتقل للذي بعده وهكذا..

٢-التصدر قبل التأهل:[١]

احذرْ التصدر قبل التأهل، هو آفة في العلم والعمل.

وقد قيل: «مَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ، فَقَدْ تَصَدَّى لِهَوَانِهِ»[٢]

٣-التنمر بالعلم[٣]: احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار

---

[١] -ومن آفات بعض طلاب العلم، التصدر قبل التأهل، والتكلم قبل بلوغ الأهلية، وقد قيل: "من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه"، وهذا كله أدى إلى حصول انحراف لدى بعض العامة فجعلهم في ضيقة من الأمر وفي نفرة من العلم، وفي كراهة من السماع.
وقد كان الثوري رحمه الله يقول، "تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون"
وقد صدق من قال:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكلِّ أمر منكر.
وبقيتُ في خلفٍ يزين بعضهم ... بعضاً ليدفع معور عن معور.

وكلُّ هذا لفتوى من لا يحسن الفتوى، أو تصدر من لم يزكى عند عالم جليل، أو يشهد له أقران ثقات ناصحون، وقد قيل: "إذا كثر الملاحون غرقت السفينة"، وقيل: "العلم نقطة كثرها الجاهلون"

[٢] -ذكره الذهبي في السير"(٢٠٨/١٧)"

[٣] -وقد كثر هذا في زماننا بعد ظهور شبكة الاتصال، "(النت) يخرج هاتفه ليناقش وهو لا يدري ما ينقل، والله المستعان.

البحث فيهما، ليظهر علمه! وكم في هذا من سوءة، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

وقد بينت هذه مع أخوات لها في كتاب "التعالم"[1] ، والحمدُ للهِ رب العالمين.

٤-تحبير الكاغد:[2]

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية[3]، والذي نهايته "تحبير الكاغد "فالحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، واكتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنَّك تسجل به عاراً وتبدي به شناراً.

أمَّا الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته، وتعددت معرافه، وتمرس به بحثاً ومراجعةً، ومطالعةً وجرداً لمطولاته، وحفظاً لمختصراته، واستذكاراً لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء.[4]

---

[1] –وقد طبع ولله الحمد، وهو كتاب عظيم وقيم، فانظر فيه وفقك الله.

[2] –الكاغد القرطاس، أو الورق الذي يكتب عليه.

[3] –أول من ذكرها ابن حزم في: "نقط العروس"، وانظر تسلسل العلماء لذكرها في: "إضاءة الراموس"(٢/٢٨٨) مهم.

[4] –قلت: قال ابن جماعة في "تذكرة السامع والمتكلم"، "(ص٥٩-٦٠) "الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف، لكن مع تمام الفضيلة، وكمال الأهلية، فإنَّه يطلع على

ولا تنسَ قول الخطيب: «من صنَّف، فقد جعل عقله على طبقٍ يعرضُه على النَّاسِ»[1]

٥-موقفك من وهم من سبقك:

إذا ظفرت بوهم لعالم، فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط[1]، فإنَّ المنصف يكادُ يجزم بأنَّه ما من إمامٍ إلا وله أغلاطٌ[2] وأوهام[3] لا سيمَّا المكثرين منهم.

حقائق الفنون، ودقائق العلوم؛ للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة وهو كما قال الخطيب البغدادي: "يثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر، وجزيل الأجر ويخلده إلى آخر الدهر"

والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يُسْبَق إلى تصنيفه متحريًا إيضاح العبارة في تأليفه معرضًا عن التطويل الممل والإيجاز المخلف مع إعطاء كل مُصَنَّفٍ ما يليق به.

ولا يُخرج تصنيفه من يده قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه وترتيبه، ومن الناس من ينكر التصنيف والتأليف في هذا الزمان على من ظهرت أهليته وعرفت معرفته، ولا وجه لهذا الإنكار إلا التنافس بين أهل الأعصار وإلا فمن إذا تصرف في مداده وورقه بكتابة ما شاء من أشعار وحكايات مباحة أو غير ذلك لا يُنكر عليه، فلمَ إذا تصرف فيه بتسويد ما ينتفع به من علوم الشريعة يُنكر ويُستهجن.

أمَّا من لم يتأهل لذلك، فالإنكار عليه نتيجة لما يتضمنه من الجهل، وتقرير من يقف على ذلك التصنيف به، ولكونه يضيع زمانه فيما لم يتقنه، ويدع الإتقان الذي هو أحرى به منه.

[1] -رواه الخطيب "(٢/٤٢٩)" والقول لهلال بن العلاء.

وما يشغب بهذا ويفرح به للتنَّقصِ، إلا متعالم «يريد أن يطب زكامًا، فيحدث به جذاماً»[٤]

نعم، يبنه على خطأ أو وهم وقع لإمام غمر في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج[٥]عليه بالتنقص منه والحط عليه، فيغتر به من هو مثله

---

[١] –قال ابن وهب: سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟ فقال: "ليس ذلك على النَّاس".

قال: فتركته حتى خفَّ الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة. فقال: وما هي؟

قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله ﷺ يدلُك بخنصره ما بين أصابع رجليه. فقال: "إنَّ هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة" ،ثم سمعته بعد ذلك يُسأل، فيأمر بتخليل الأصابع"كما في "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم، (١/٣١-٣٢)

[٢] –قلت: قال مالك: "من ذا الذي لا يخطئ" الآداب الشرعيَّة، (٢/١٤٢)

[٣] –قال ابن المبارك: "ومن يَسلمُ من الوهم؟" شرح علل الترمذي، (١/٣٢)

[٤] – "مجمع البلاغة" للراغب.

[٥] –الغبار.

٦-دفع الشبهات:

لا تجعل قلبك كالسفنجة تتلقى ما يرد عليها، فاجتنب إثارة الشبه وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها حمَّالة الحطب -المبتدعة -فتوقهم"[١]

٧-احذر اللحن:[٢]

ابتعد عن اللحن في اللفظ والكتب، فإن عدم اللحن جلالة، وصفاء ذوق ووقوف على ملاح المعاني لسلامة المباني:

فعن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: «تعلموا العربية؛ فإنَّها تزيد في المروءة»[٣]

---

[١] -قلت: قال ابن القيم رحمه الله، في "مفتاح دار السعادة"، "(١/٤٤٣)" قال لي شيخ الاسلام رحمه الله: وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد، لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها؛ ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات أو كما قال.

فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك، وإنا سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنَّها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها وأما صاحب العلم واليقين"

[٢] -قلت: سواءً الجلي أو الخفي، والله الموفق الهادي.

[٣] -"الجامع"(٢/٢٥) للخطيب، ورواه ابن عبد البر برقم، "(١١٥٨)"

وقد ورد عن جماعة من السلف أنَّهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن"[1]

وأسند الخطيب عن الرحبي[2] قال: «سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحان، فكتب عن اللحان لحان آخر؛ صار الحديث بالفارسية!»[3]

قلت: وروى ابن عبد البر في "جامع بيان العلم"، برقم "(١١٥٩)" عن عمر بن زيد، قال: كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد، فتفقَّهوا في السنة وتفقهوا في العربية" ورواه ابن شيبة في المصنف، برقم"(٢٥٦٥١)"

وروي عنه كما في "فضائل القرآن" لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم (ص٣٤٩)، و "مصنف ابن أبي شيبة"، "(١١٦/٦)"، "عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية وحسن العبارة"

قال الشافعي في "الرسالة"، "(٤٨)"، " فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يَشْهَد به أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله، ويتلوَ به كتابَ الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح، والتشهد، وغيرِ ذلك"

[1] -الجامع"(٢/٢٩،٢٨)

قلت: وعن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه: "أنَّه كان يضرب ولده على اللحن"
رواه: البخاري في "الأدب المفرد"، "(٨٨٠)" وابن أبي شيبة في "مصنفه"، "(٢٥٦٥) والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" "(١٠٨٩-١٠٩٠-١٠٩١)"

[2] -الجامع (٢/٢٨).

[3] -الجامع (٢/٢٨).

وأنشد المبرد[1]:

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ ... وَالْمَرْءُ يُعَظِّمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

وعليه؛ فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة رحمه الله تعالى: «تعلم النحو: أوله شغل، وآخره بغي»

ولا بقول بشر الحافي رحمه الله تعالى: «لما قيل له: تعلم النحو قال: أضل، قال: قل ضرب زيد عمراً.

قال بشر: يا أخي! لم ضربه؟ قال: يا أبا نصر! ما ضربه، وإنَّما هذا أصلٌ وُضِع.

فقال بشرٌ: هذا أوله كذب، لا حاجة لي فيه» رواهما الخطيب في "اقتضاء العلم العمل"[2]

---

[1] -الجامع(٢/٢٨).

[2] -قلت: والعلة في الكراهة هي ما ذكره الخطيب بقوله: "باب من كره تعلم النحو لما يكسب من الخيلاء والزهو" والله أعلم.

وقال الحافظ العراقي في "ألفيته" (٦٣٩ -٦٤١)

وَلْيَحْذَرِ اللَّحَّانَ وَالْمُصَحِّفَا ... عَلَى حَدِيْثِهِ بِأَنْ يُحَرِّفَا

فَيَدْخُلاَ فِي قَوْلِهِ: مَنْ كَذَبَا ... فَحَقٌّ النَّحْوُ عَلَى مَنْ طَلَبَا.

وَالأَخْذُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ لاَ الْكُتُبِ ... أَدْفَعُ لِلتَّصْحِيْفِ فَاسْمَعْ وَادْأَبِ.

٨-الإسرائيليات الجديدة:[١]

احذر الإسرائيليات الجديدة في نفثات المستشرقين؛ من يهود ونصارى[٢]؛ فهي أشد نكاية وأعظم خطراً من الإسرائيليات القديمة؛ فإن هذه قد وضح أمرها ببيان النبي ﷺ الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها.

أمَّا الجديدة المتسربة إلى الفكر الإسلامي في أعقاب الثورة الحضارية[٣] واتصال العالم بعضه ببعض، وكبح المد الإسلامي؛ فهي شرٌ محض، وبلاء متدفق، وقد أخذت بعض المسلمين عنها سنة، وخفض الجناح لها آخرون، فاحذر أن تقع فيها. وقي الله المسلمين شرَّها.

---

[١] -مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفارسي (صفحة ب).

[٢] -هم جماعة من الغربيين الذين يبحثون في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم، وهمهم الطعن في الإسلام، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، ومعاداة أصوله. وانظر: في هذا الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم للشيخ مصطفى السباعي، (ص٢٠)، وموقف الاستشراق من السُنَّة والسيرة النبوية للأستاذ أكرم العمري، (ص٧٠)"

[٣] -قامت في ثلاثينيات القرن العشرين، بتحول القرى الزراعية إلى مدن صناعية.

٩-احذر الجدل البيزنطي[١]

أي الجدل العقيم، أو الضئيل. فقد كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة والعدو على أبواب بلدتهم حتى داهمهم.

وهكذا الجدل الضئيل يصدُّ عن السبيلِ، وهدي السلف: الكف عن كثرة الخصام والجدال[٢]، وأن التوسع فيه من قلة الورع؛ كما قال الحسن إذ سمع قوماً يتجادلون: «هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم القول، وقل ورعهم، فتكلموا» رواه أحمد "الزهد"، وأبو نعيم في "الحلية"[٣]

---

[١] -معجم التراكيب (ص٢٨٠).

[٢] -انظر: الترهيب من المراء والجدال والمخاصمة والمحاججة والقهر والغلبة والترغيب في تركه للمحق والمبطل" للمنذري في كتابه "الترغيب والترهيب"، (٧٧/١)

[٣] -وذكره الحافظ ابن رجب في "فضل علم السلف على الخلف"، وابن جماعة في "تذكرة السامع"، وغيرهم.

١٠-"أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام"

فيا طالب العلم! بارك الله فيك وفي علمك؛ اطلب العلم، واطلب العمل، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف.

ولا تكن خراجاً ولاجاً في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهجاً، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإنَّ يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عند "**علامة أهل العبودية**":[1]

«**العلامة الثانية**: قوله: "ولم ينسبوا إلى اسم"؛ أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق.

وأيضاً؛ فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال؛ فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة.

وأمَّا العبودية المطلقة؛ فلا يعرف صاحبها باسمٍ معين من معاني أسمائها؛ فإنَّه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كلِّ أهل عبوديةٍ نصيب يضرب معهم بسهم؛ فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول.

---

[1] -قلت: هو في "مدارج السالكين"، "منزلة السر"، "(٢/٣٥٠)"، ط: التوفيقية.

وعن طريقه؟ قال: الأتباع.

وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى.

وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة.

وعن مقصده ومطلبه؟ قال: (يريدون وجهه).

وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (١)

وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه..... إذا افتخروا بقيس أو تميم"(٢)

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى السنة»(١)

١-[سورة النور: ٣٦-٣٧]

٢-قائل هذا البيت، "نهار بن توسعة"، هو شاعر فارس من قبيلة بكر ابن وائل، عاش في العصر الأموي، في عهد هشام بن عبد الملك...."

يعني: أنَّ أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواه. [٢]

☜قال مختصره عفا الله عنه وعن أهله ووالديه: "تم الانتهاء من التعليق على الكتاب بحمد الله تعالى في "(١٢)من شهر رجب، لعالم، "(١٤٣٨هـ)" (٩) من شهر نيسان، عام (٢٠١٧م)

---

[١] –قلت: وقد سُئل الإمام أبو بكر بن عيَّاش رحمه الله من السنيُّ؟ فقال: "الذي إذا ذُكرت عنده الأهواء لم يتعصب لشيءٍ منها" أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة" (٦٣/١) والآجري في "الشريعة"، برقم (٢١١٢)

وقال الإمام مالك عن أهل السنة حينما سئل عنهم، "الذين ليس لهم لقبٌ يعرفون به؛ لا جهميٌ، ولا قدريٌ، ولا رافضيٌ" ذكره ابن عبد البر في كتابه "الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء"، (ص٣٥)

[٢] –قال الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في كتاب: "الغنية"، "وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة عاصبيه وكل ذلك عصبية، وغياظ لأهل السنة ولا اسم لهم إلا اسم واحد وهو: "أصحاب الحديث" ولا يلتصق بهم ما لقيهم به أهل البدع كما لم يلتصق بالنَّبي تسمية كفار مكة ساحرًا، وشاعرًا ومجنونًا ومفتونًا وكاهنًا، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند أنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولًا نبيًّا بريًّا من العاهات كلها: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

الفهرس

المقدمة.	٣
المؤلف في سطور.	٧
سبب تأليف الحلية.	٩
أهمية الإخلاص.	١٠
التحذير من زلة العالم.	١٣
التحذير من التعلم ابتغاء الدنيا.	١٣
الزجر عن علم الكلام وتعلمه.	١٦
منهج أهل السنة في التعامل مع الفرق المخالفة.	١٨
أصل العلم وحقيقته.	١٩
لزوم التواضع والحذر من الكبر.	٢٠
التحلي بالقناعة والزهد.	٢١
تعلم الهدي قبل تعلم العلم.	٢٢
التوسط في أمور المعيشة وترك البذاذة.	٢٤
موقف طالب العلم في حل النزاعات.	٢٥
التدرج في الطلب.	٢٧
في أي العلوم يبدأ طالب العلم مسيرته العلميَّة.	٣٠
أخلاق طالب العلم.	٣١

من علامات العلم النافع.	٣٣
ضرورة التعلم والسماع من أهل العلم.	٣٥
طالب العلم وشيخه.	٣٨
أدب الكتابة عن الشيخ.	٤٠
حكم التلقي عن أهل البدع.	٤١
طالب العلم والعزلة.	٤٦
علو الهمة.	٤٧
أهمية الرحلة.	٥٠
تقييد العلم بالكتابة.	٥١
طالب العلم والفتوى.	٥٤
حال طالب العلم في وقت الراحة.	٥٥
أدب السؤال ومراتب العلم.	٥٦
زكاة العلم.	٥٧
كيفية التعامل مع الكتاب	٥٨
المحاذير الشرعيَّة.	٥٩
١-احذر أن تكون أبا شبر.	٥٩
٢-التصدر قبل التأهل.	٦٠
٣-التنمر بالعلم.	٦٠
٤-تحبير الكاغد.	٦١
٥-موقفك من وهم من سبقك.	٦٢

٦-دفع الشبهات.	٦٤
٧-احذر اللحن.	٦٤
٨-الإسرائيليات الجديدة.	٦٧
٩-احذر الجدل البيزنطي.	٦٨
١٠-أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام.	٦٩
الفهرس.	٧٢